خالد ابو خالد :

من دفتر فدائي في قوات العاصفة *

يروى عن الفريب ليلة انهمار الثلج
في مدينة تحنطت في الكتب الصفراء
والجرائد الصفراء والنيون
انه يصير غير قابل للمس ..
او للكسر
في واجهة الزجاج .. تشنق الليلة
لعب الاطفال
صار لعبة ..
وانقطع التيار
ظل وحده معلقا في عتمة المدينة ..
انطوى ..
وانفجر الصراخ بين قلبه ..
والليل .. مثل حشد من حناجر
النساء في مآتم القرى ..
يذكر كيف ..؟
... ...
... ...
جاء صوت الريح حاملا رائحة الاهل
تكسر الزجاج
انقطع الخيط الذي يربطه بالخشب
المحروق
اخترق الحاجز
قامت المرآة في طريقه ..
أزاحها ..
ومدّ راحتيه ..
قدميه ..
لامست جبهته العاصفة ..
انتهى الى سمعه خرير نهر الاردن
العتابا ..
مهرولا يخب ..
اعترضته حكمة الموتى
أدار ظهره .. ودار حولها ..
فطوقته .. دار حولها .. مشى
وكان حضن الفور دافئا
تحسس الرمانتين
لم يعد يرى سوى المخاضة التي تفرد
صدرها .. والارض
خطوة واحدة في قارب المطاط
خطوة واحدة في الضفة الاخرى
الهشير يحجب الرؤية
والنجوم
يقرأ البوصلة التي صادقها ..
يأخذ في يديه البندقية التي يعشقها ..
يعدها
يصعد فوق (الكترات)
كثرت مواقع العدو
والاسلاك في طريقه
يزحف صامتا
يخاف بعض الشيء
يعبر الحقول واحدا
فواحدا
توهج التراب تحت قدميه
وقع العاشق فوق الارض
... ...
... ...
ويكتب في كأس ماء ..
ويشربه ..
ثم يصحو ..
يحس بشيء من البرد
ينهمر الثلج
يلجأ نحو قصائده
يتلفح أوراقه .. وينام قليلا ..
يشم دخان المواقد ..
يغفو ..
يئن
يصادر قبل الدخول الى الحلم
ينهض ..
يحتضن السلم الخشبي
يجوع ..
فيأكل خبزا ..
وزيتا
وشيئا يسميه غربته
يتنفس بين الدخان .. وبين الحريق
.. دما لزجا
ويعلق وجه حبيبته في المساء الحزين
ويسكب خيطا من الشاي .. والدم ..
يصعد فوق ذراعيه .. معضلة ..
لا تناقش في الضوء
والليل رحب ..
ولا شيء غير الصعود
فيصعد
... ...
... ...
ينمو على الجدار فوق معصميه
شجر الحديد
ممنوعة زيارة السجين ..
والقتلى
على بلاط الساحة القديمة .. النرجس
صار جرسا يدق
صار دفترا ..
يكتب فيه اسمه الجديد
ـ هل يقول شيئا قبل ان يغيب عن؟
وقبل أن ..؟
تشابك العليق فوق الشرفة الغريبة ..
الشمس ..
وفي يديه الثمر البريّ
هذا القمر الذي أطل من خلال
النافذة ..
ارتمى عليه
ـ هل أحبه ..؟
ارتعد الغيم ..
فعانقته غابة الزيتون
هذا المطر المضيء بين القحط ..
والظلام .. شعرها ..
الربيع ..
صوتها ..
ووقع خطاها في قاع قلبه
وخطوه على قناطر الرصاص
والعذاب
تبدأ اللحظة من قيوده .. وتنتهي ..
يولد مرة اخرى
ويحكم الليلة بالاعدام
لا يقول شيئا ..
هز رأسه ..
تنبهت اعصابه هنيهة
أغفى على الحبال ...
وابتسم
... ...

(*) من مجموعة : « وشاهرا سلاسلي اجيء » التي تصدر هذا الشهر عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

ويؤخذ من بين عينيه ..
يطرح بين المـــوائد .. والتبغ ..
والاحذية ..
ويسمع قهقهة .. فيصر بأسنانه -
يفتح الآن باب .. ويغلق
يسقط تحت الصرير .. فيصحو..
ويسأل ماذا حلمت
ـ انتبه ..
... فينام
يجرّ على الثلج .. والملح ..
يؤلمه جرحه ..
ثم يسمع موعظة
ـ كيف تبدو الحياة .. اليست..؟
يكاد يجيب بصدق ..
فتحبس في حلقه الكلمات ..
ويرسم دائرة في الفراغ ..
يلون أطرافها بالنزيف
تصير قرى
وجبالا
ووردا
يرى انه يمتطي فرسا بين اربد ..
واللد ..
يحمي بظل جناحيه رف العصافير
يفرد ما بين نجمين .. والثلج ..
والماء .. كفا
يشير باصبعه ..
ثم يضحك
اذ يعرف الآن ان الذي قاله غزل
يثمر اسدر قرب المصبّ
ويمحضه النخل باب جنين ..
وتثمر عنابة .. وحدها .. انتظرت
بين رأس المطلة .. والحوض ..
يستحضر الآن طفلا ..
وقبر أبيه ..
يغمغم ان لن يكون لغيرك .
... ...
... ...
تداخل الحلم الذي يدور بين الباب
والشباك بالاوراق
والجدار
والتقويم
والاسرّة
استراح القلم المتعب في الاصـــابع
اليقظى
توقفت ساعته قبيل موعد الحصاد
ظـــل شاخصا .. يعيش وهـــلة
الانصات .. والحضور ..
لم تشرق الشمس ..
ولكن .. ظل شاخصـــا كالصـــورة
الزيتية
انتمى للزمن الذي تجمد الناس عنده
يكاد ان يصرخ بالذي خبأه ...
يخاف ..
ينشر بين الشمعـــدان والشوارع
الخالية .. الصمت ..
(يلد) نحو السقف جائيا
تتهدم الظلال فوقه ..
يخونه لسانه ..
يخرج بين العقل .. والجنـــون ..
من عذابه ..
وفي عيونه ينطفىء البريق ..
يسبل الجفنين .. تحت قسوة الرحى
يطحن
ـ هل يموت القمح ..
والزيتون
تنشج العروق في الصخور ..
والجذور ...
تطفح الآبار بالمياه ..
والبترول ..
والدم الشجي ..
بين النيل والفرات
بين شاطىء الخليج .. والمحيط ..
اعتقلوه
قتلوه ..
ذوبوه بالاسيد
اشتعل المناخ في الزنزانة الضيقة
ارتحلت فيه ..
صارت القصيدة التي شكلتمـــا ..
دورية ..
وصلية ..
وافتتح التقـــويم .. بالرصاص ..
تواصل الحصار ..
اختبأ الاسى فـــي خشب المقاعـــد
اليابسة ..
الاشجار هجرت أوراقها ..
والكلمات عجزت ..
ـ هل يرتدي الغريب ثوب الحيوان
الداجن ..؟
الميتة ..؟
ـ هل يخلعه ؟
ـ هل ترتديه الغربة القديمة ..
الاسئلة ..
الحاجة ..
والضرورة ..
المتاحف الغبية ..
الاقفال ..
ملصقات موسم السياحة الطويل
والاعلان عن برامج الملهى
يقوم ..
يخلع الآن يديه عن قبيلة الايـــدي
التي تضرعت على منصة
الاعداء
تحت ابطه احتواك
موئلا تصير غابة الرمان
فرّ من غربته اليك
... ...
... ...
... ولا يذوب الثلج
ـ هـــل أصغيت كيف أنّت السروة
تحت البرد
ـ هل عايشت رعشة العصفور ..
قبل فجر اليوم ..
ارتعش الغريب ..
قال شيئا ..
دسّ جيوبه في يديه
قال ..
لم يلمع جرحه
فما تعرفت عليه الاعين التي ترصده ..
بدا عليه انه يبكي ..
مضى يرافق الرصيف
كان الورق الذي يصب في المطابـــع
المشبوهة الليلة
يستحيل عملة
وصحفا
وطبعة جديدة من وجه أمه
خريطة ...
تطرح في الحانات
والتكايا
ـ انتبهي
ـ يحبك الآن .. كما لو انه الشمس
التي تبوس وجنتيك
كل فجر ..
ـ انتبهي ..
يجيء غربة ..
خذيه فوق الصخر ..

دمشق